*استكمال الحديث عن أقسام القصر الإضافي*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *د. وليد علي الطنطاوي*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*waleed.eltantawy@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في استكمال الحديث عن أقسام القصر الإضافي**

**الكلمات المفتاحية : قصر إفراد ، تحويل القلوب ، العناد والمكابرة**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن استكمال الحديث عن أقسام القصر الإضافي**

1. **عنوان المقال**

**وينقسم القصر الإضافي باعتبار المخاطب: إلى قصر إفراد، وقلب، وتعيين.**

**والقصر الإضافي -كما سبق أن ذكرنا- ما يكون المنفي فيه معينًا ومحددًا، يعني: أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالإضافة إلى معين؛ بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين، كما في قول الله تعالى: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [فاطر: 22- 23]، فهنا قصر الرسول  على صفة الإنذار دون أن يملك تحويل القلوب عما هي عليه من العناد والمكابرة، ومثله قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني** | **\*** | **أرى الأرض تبقى والإخلاء تذهب** |

**وقد قصر الشاعر الشكوى على الله  بحيث لا تتعداه إلى غيره من الناس، وهذا القصر الإضافي، ينقسم باعتبار المخاطب واعتقاده الذي وقف عليه المتكلم إلى ثلاثة أقسام: قلب، وإفراد، وتعيين.**

**النوع الأول: القصر القلبي: هو تخصيص أمر بأمر مكان آخر، ويخاطب به من يعتقد العكس، كقولك: جاءني زيد لا عمرو، مخاطبًا من يعتقد أن عمرًا هو الذي جاءك دون زيد، فأنت تعكس وتقلب ما يعتقده؛ ولذا سمي قصر قلب.**

**ومن ذلك قول الله تعالى: {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} [البقرة: 13]؛ لأن المنافقين يعتقدون أن المؤمنين هم السفهاء دونهم، فقلب الله اعتقادهم، وبيَّن أن المنافقين هم السفهاء ولكن لا يعلمون، ومن ذلك قوله جل وعلا: {ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ} [المائدة: 75]، فالنصارى يعتقدون أن الله  حلَّ في عيسى، وأنه مخلد، فكفَّرهم -تبارك وتعالى- في قوله: {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} [المائدة: 72]، وقلب تعالى اعتقادهم {ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ}، فالمسيح مقصور على كونه رسولًا يخلو، كما خلت الرسل من قبله، ولا يتجاوز ذلك إلى كونه إله، كما اعتقد الكفرة؛ ولذا فالقصر في الآية الكريمة؛ قصر قلب، وتأمل معي قول أبي تمام:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **والعلم في شهب الرماح لامعة** | **\*** | **بين الخميسين لا في السبعة الشهب** |

**تجده قد قصر العلم على كونه في قوة الجيش والعتاد، ونفاه عن كونه في علم المنجمين الذين نصحوا المعتصم بألا يُقبل على الجهاد في ذلك الوقت؛ لأن النجوم تنبئ بأن يتريث ولا يتعجل، ولكن المعتصم لم يعبأ بما قالوا، وأقبل إلى الجهاد، فانتصر وفتح عمّورية، وأنشد أبو تمام هذه القصيدة؛ مشيدًا بنصره، ومشيرًا إلى قصور علم المنجمين؛ فالقصر في البيت المذكور قصر قلب؛ لأنهم اعتقدوا العلم في السبعة الشهب لا في قوة الرماح والجيش، فنفى أبو تمام هذا، وأثبت عكسه ، كما نرى.**

**النوع الثاني: قصر الإفراد: وهو تخصيص أمر بأمر دون آخر، ويُخاطب به من يعتقد الشركة، كقولك: محمد الجواد لا علي، لمن اعتقد أنهما يشتركان في صفة الجود، ومنه قول الله تعالى: {ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} [المائدة: 73]، فهم يعتقدون الشركة، وأن الله ثالث ثلاثة.**

**وأفاد أسلوب القصر، أن الإله واحد، وما من إله إلا إله واحد؛ فهو قصر إفراد.**

**وتأمل غير ما ذكرنا، قوله تبارك وتعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ} [آل عمران: 144]، فالصحابة -رضوان الله عليهم- لشدة تعلقهم وحبهم للنبي  نزل منزلة من يعتقد أن محمدًا  يجمع بين صفتي الرسالة والخلد، فجاء أسلوب القصر؛ مفيدًا أنه مقصور على صفة الرسالة؛ فهو رسول يخلو ، كما خلت الرسل من قبله، لا يتجاوز صفة الرسالة إلى التخليد في الدنيا.**

**و قوله تعالى: {ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [فاطر:22: 23]، فلما كان النبي  يتمنى هداية قومه حريصًا، بل شديد الحرص على قبولهم الهداية نُزِّل # منزلة من يعتقد أنه يجمع بين صفتي الإنذار والقدرة على خلق الهداية في النفوس، التي أصرت على الضلال والمكابرة، فجاء أسلوب القصر: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ}، محددًا مهمة النبي  وقاصرًا إيَّاه على صفة الإنذار، لا يتعداها إلى القدرة إلى إسماع من في القبور.**

**ويُشترط في قصر الموصوف على صفة قصر الإفراد، عدم تنافي الوصفين بالطبع، حتى يتصور اجتماعهما لموصوف واحد في ذهن المخاطب، فلا يقال في قولك: محمد أبيض لا أسود، أنه قصر إفراد؛ إذ لا يتصور أن يعتقد معتقدٌ أن محمدًا يتصف بالبياض والسواد معًا، حتى نجعل الشركة بين الوصفين، كما اشترط الخطيب القزويني، في قصر الموصوف على الصفة قلبًا، تنافي الصفتين، حتى يكون إثبات إحداهما مشعرًا بانتفاء الأخرى، كقولك: محمد طويل لا قصير، وزيد ذكي لا غبي، وعمرو شجاع لا جبان، وحاتم كريم لا بخيل، ورُدَّ عليه، بأن قصر القلب يرد كثيرًا في الصفات غير المتنافية، كما مر بنا في كلام عبد القاهر، من أن المنفي من الصفات ما كان له تعلق، وما كان من المقصور عليه بسبب؛ ولذا فلا وجه لما اشترطه الخطيب القزويني هنا.**

**النوع الثالث: قصر التعيين: وهو تخصيص أمرٍ بأمر دون آخر، ويُخاطب به المتردد بين الشيئين، كقولك لمن يتردد شاكًّا في الناجح أعمرو أو بكر: إنما الناجح عمرو، وقولك لمن يشك في أمر زيد أمقيم أو مسافر: زيد مقيم لا مسافر، وتأمل معي قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فإن كان في لبس الفتى شرف له** | **\*** | **فما السيف إلا غمده والحمائل** |

**تجده قصر في البيت قصرًا إضافيًّا، صالحًا لأن يكون قصر قلب، أو إفراد، أو تعيين، وذلك حسب تصورك لحال المخاطب، فإن كان يعتقد أن الشرف في اللبس والزينة دون الفضائل النفسية؛ فهو قصر قلب، وإن اعتقد أن الشرف فيهما معًا؛ فهو قصر إفراد، وإن تردد وشك في مرجع الشرف أإلى اللبس والزينة، أو إلى الفضائل النفسية؟ فهو قصر تعيين، والأرجح أن يكون قصر تعيين ، كما ينم عليه، ويومئ إليه السياق؛ لأن الشاعر يريد أن يقرر أن مردَّ الشرف إلى ما يتصف به الإنسان من الفضائل، لا إلى الشكل والزينة، فهذا من الأمور الواضحة الجلية، ولا يرتاب فيها إلا من ارتاب في الأمور البديهية، كمن يرتاب في مزية السيف وجودته أإلى حدته وشدة قطعه ترجع، أو إلى غمده والحمائل، فمن ارتاب في هذا الأمر البيِّن؛ فقل له موبخًا ومشيرًا إلى ضعف عقله، وقلة تفكيرة، وشدة غبائه: ما السيف إلا غمده والحمائل.**

**هذا ومراد البلاغيين بحال المخاطب، ما وقف القارئ للتعبيرات الجيدة عليه من قرائن الأحوال، وسياقات الكلام؛ فالسياق وما به من قرائن، هو الذي يبرز لك حال المخاطب، تأمل قول الله تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ}، وقوله : {ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ}، العبارات واحدة والبناء هو البناء، وعلى الرغم من ذلك، نقول: إن القصر في الآية الأولى: قصر إفراد، وفي الثانية: قصر قلب، والذي جعلنا نقول هذا القول؛ الوقوف على أحوال المخاطبين من خلال تأمل سياق الآيتين.**

**واقرأ في الآية الأولى، قوله تعالى:{ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ} [آل عمران: 142: 144]، فهو ينبئك بمدى حب الصحابة } للرسول  وتغلغل هذا الحب في نفوسهم، إلى درجه أنهم قد غفلوا عن أمر موته، ولم يخطروه ببالهم، وها هو ذا عبد الله بن عباس { يقول: "فو الله لكأن الناس لم يعملوا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر >، فتلاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها".**

**وهذا هو عمر بن الخطاب، يقول: "والله ما هو إلا إن سمعت أبا بكر تلاها، فعرفت حتى ما تُقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض"، ولشدة حب الصحابة للرسول  وتعلقهم به نُزِّلوا منزلة من يستبعد موته، وكأنهم يعتقدون أنه يجمع بين الرسالة والتبري من الهلاك؛ ولذا كان القصر، قصر إفراد؛ لمعونة السياق، ثم اقرأ سياق الآية الثانية، قال تعالى: {ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} [المائدة: 73- 75]، فستقف منه على حال هؤلاء، ومعتقد أن عيسى # إله، وأن الله ثالث ثلاثة؛ ولذا كان القصر هنا قصر قلب؛ حيث قلب اعتقادهم، وأفاد أن المسيح مقصور على كونه رسولًا يخلو، كما خلت الرسل من قبله، لا يتجاوز ذلك إلى مرتبة الألوهية التي اعتقدوها، ويتكون حال المخاطب لدى المتكلم، وترسم في ذهنه من خلال خبرته ومعرفته بشئون مخاطبه، فعند التأمل تجد حال المخاطب تؤول إلى المتكلم، وما قد علمه ووعاه عن مخاطبه، وفي كثير من الشواهد لا تستطيع أن تحدد مخاطبًا، أو تعين حالًا له، بل تجد القصر منظورًا فيه لحال المتكلم، وما يحكيه عن نفسه، وتأمل في ذلك قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وكُنْتُ امْرءاً أَلقَى الزَّمانَ مُسَالِماً** | **\*** | **فآليْتُ لا أَلقاهُ إِلاَّ مُحَارِبا** |

**تجد القصر فيه، قصر قلب، فالشاعر قد تغير وتبدل، وانقلب من امرئ يلقى الزمان مسالمًا، إلى امرئ لا يلقاه إلا محاربًا، وأنت إن ذهبت تُفتش عن حالٍ هنا، لا تجد إلا حال المتكلم وحديثه عن نفسه، الأمر الذي يعني: أنه لا بد من مراعاة حال المتكلم، كما لا بد من مراعاة حال المخاطب.**

**هذا، وينقسم القصر باعتبار طرفيه، المقصور والمقصور عليه، إلى: قصر صفة على الموصوف، وقصر موصوف على صفة، والمراد بالصفة هنا: الصفة المعنوية التي هي معنًى قائم بالغير؛ سواء كان فعلًا، أو مصدرًا، أو مشتقًّا، أو ظرفًا، أو جارًّا ومجرورًا، أو غير ذلك، وليس المراد بها: النعت النحوي؛ لأنه عادة ما يقع بين المبتدأ والخبر؛ ولأنه لا يقع قصر بين نعت ومنعوته، كقولك: جاء رجل فاضل، ففاضل نعت نحوي للرجل، لا يُفصل بينهما، ولا يتصور بينهما قصر، كما أن المراد بالموصوف هنا: كل ما قام به غيره، وإن كان هو في نفسه صفة، تقول في قصر الصفة على الموصوف: ما شاعر إلا زهير، وما كتب فلان إلا الشعر، وما أكرمت إلا زيدًا.**

**وفي قصر الموصوف على الصفة: ما شوقي إلا شاعر، وإنما أنت والد، ومحمد فارس لا عالم، وما حاتم بخيلًا بل جواد، فقصر الصفة على الموصوف، معناه: ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف، إلى موصوف آخر أصلًا، إذا كان القصر حقيقيًّا، أو إلى موصوف آخر، إذا كان القصر إضافيًّا، ولا يمنع هذا أن يتصف الموصوف المقصور عليه بصفات أخرى غير تلك الصفة المقصورة، تقول: الله هو الخالق، فتقصر صفة الخلق على الله  قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا.**

**ومنه قول تعالى: {ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الفاتحة: 5]، حيث قصرت صفة العبادة، وكذلك صفة الاستعانة على الله تعالى، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، ومن ذلك قوله -جل وعلا-: {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ} [الأنعام: 59]، حيث قصر العلم لمفاتح الغيب على الله تعالى، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، وهو قصر صفة على موصوف. هذا في القصر الحقيقي التحقيقي.**

**ومن القصر الحقيقي الادعائي، ما جاء في قول الشاعر، وقد سبق أن ذكرناه:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني** | **\*** | **أرى الأرض تبقى والإخلاء تذهب** |

**حيث قُصرت صفة الشكوى على الله تعالى، بحيث لا تتجاوز إلى الناس؛ فهو قصر إضافي.**

**ومنه قول أبي تمام:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لا يطرد الهم إلا الهم من رجل** | **\*** | **مقلقل لبنات القفرة النعب** |

**وكلمة مقلقل، تعني: الحركة العنيفة، وبنات القفرة، أي: الإبل التي تقطع القفار، والنعب: مفردها نعوب، وهي تحريك الناقة رأسها في السير، وهذا دليل نشاطها وقوتها.**

**وقد قصر الشاعر طرد الهم -وهو صفة- على الهم من رجل مقلقل لبنات القفرة، وهو موصوف قصرًا حقيقيًّا ادعائيًّا؛ لأن الناس يطردون همومهم بأمور كثيرة، ولكن الشاعر لم يعتدّ بشيء منها إلا بالرحلة التي غيرته وأضنته، والتي كانت سببًا في حزن صاحبته، وانسكاب عبَراتها، فأراد أن يبين لها أن تلك الرحلة، هي الوسيلة الوحيدة لطرد الهموم والأحزان.**

**والقصر الموصوف على الصفة، معناه: ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى أصلًا، إذا كان القصر حقيقيًّا، أو إلى صفة أخرى معينة، إذا كان القصر إضافيًّا، وهذا لا يمنع أن تكون تلك الصفة المقصورة عليها، وصفًا لموصوف آخر غير المقصور.**

**فقولك: ما عمرو إلا شجاع، قصر لعمرو على صفة الشجاعة، بحيث لا يتعداها إلى صفة أخرى، أما الشجاعة، فليس هنالك ما يمنع أن يتصف بها غير عمرو، وتقول: زيد كاتب لا شاعر، فتقصر زيدًا على صفة الكتابة، بحيث لا يتجاوزها إلى صفة الشعر؛ فهو قصر إضافي، وتقول: ما شوقي إلا شاعر، وتقصر شوقيًّا على صفة الشعر؛ بحيث لا يتجاوزها إلى صفة أخرى؛ فهو قصر حقيقي.**

**ولا يقال: كيف يوقف الموصوف على صفة واحدة، فإن هذا محال ولا يتأتَّى؛ لأننا نجيب: أن المراد بالصفات المنفية، تلك الصفات التي تتصل بالمعنى المذكور، فالصفة المقصور عليها في المثال صفة الشعر، ومعنى قصر شوقي عليها قصرًا حقيقيًّا، أنك نفيت عنه كل ما يتصل بها، ويدور في فلكها ،أو كما يقول عبد القاهر: "كل ما هو بسبيل منها كالكتابة، والخطابة، والفقة، والحديث، والنحو، وما إلى ذلك"، فهو ليس بارعًا في فرع من فروع المعرفة، إلا في الشعر الذي قُصر عليه.**

**ومن شواهد قصر الموصوف على الصفة، قوله تعالى في القصر الإضافي: {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ}، حيث قُصر الرسول  على صفة الإنذار، بحيث لا يتجاوزها إلى أن يملك تحويل القلوب المشركة عمَّا هي عليه، من العناد، والمكابرة.**

**ومنه قوله : ((من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، وإنما أنا قاسم والله  يعطي))، فقد قالوا في معناه: كان بعض الصحابة يسمع الحديث ولا يفهم منه إلا الظاهر الجلي، ويسمعه آخرون منهم، فيستنبطون منه المسائل الكثيرة، فالرسول  حين يحثُّهم، يكون كلامه مقسومًا بينهم، شركة بين الجميع، أما الفهم والاستنباط، فهو من عطاء الرحمن جل وعلا، ففي الحديث قصر للرسول  على كونه قاسم، لا يتجاوز تلك الصفة إلى الإعطاء، فالإعطاء وتحقيق الفهم هو من الله .**

**وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- لفرط اعتقادهم في هدايته # رأوا أنه يقسم ويعطي؛ ولذا بيَّن لهم  أنه لا يملك إلا القسم، وأما الإعطاء فمن الله تعالى؛ فالقصر إذًا قصر موصوف على صفة، قصرًا إضافيًّا إفراديًّا.**

**ومن قصر الموصوف على الصفة، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، قول دريد ابن الصِّمة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وهل أنا إلا من غزية إن غوت** | **\*** | **غويت وإن ترشد غزية أرشد** |

**حيث قصر الشاعر نفسه على كونه من تلك القبيلة، لا يتعداها إلى غيرها من القبائل؛ فهو قصر حقيقي تحقيقي، ومن ذلك قول شوقي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إنما الأمم الأخلاق ما بقيت** | **\*** | **فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا** |

**حيث قصر الأمم على الأخلاق، قصر موصوف على صفة، قصرًا حقيقيًّا ادعائيًّا، فهناك أمور كثيرة تكوَّن بها الأمم كالقوة، والمال، والرقيّ، والحضارة، وغير ذلك، ولكن الشاعر لم يعتدّ بها، وجعل الأمم مقصورة على صفة الأخلاق؛ بحيث لا تتعداها إلى غيرها، فإذا وجدت الأخلاق وسادت كانت الأمم، وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا، ومنه قول الآخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هل الجود ألا أن تجود بأنفس** | **\*** | **على كل ماضٍ الشفرتين ثقيل** |

**حيث قصر الجود على الجود بالأنفس، قصر موصوف على صفة، قصرًا حقيقيًّا ادعائيًّا، فالشاعر لم يعتدَّ بما عدا الأنفس لما يمكن أن يبذل، كالمال، والرأي، والجهد، وغير ذلك من ضروب البذل، وجعل الجود مقصورًا على كونه بالأنفس فقط، إذ الجود بالنفس أسمى غاية الجود.**

**ولا يخفى عليك أن قصر الموصوف على الصفة يفيد بلوغ الموصوف الغاية، ووصوله حد النهاية في تلك الصفة، وما سبق من أمثلة يدل دلالة قاطعة على ذلك.**

**هذا، والمراد بالصفة، الصفة المعنوية: التي هي معنى قائم بغيره، كما أن المراد بالموصوف: ما قام به غيره، وإن كان هو في نفسه صفة، وهذه قاعدة جليلة لا بد أن نضعها في الحسبان، ونحن نتكلم في باب القصر.**

**وقد نظر البلاغيون في جملة القصر، فضعوا لهذا الباب ضوابط تعينك على تحديد كلٍّ من الصفة والموصوف، حيث ذكروا أن القصر إذا وقع بين ركني الجملة الاسمية، فإن قصر المبتدأ على الخبر يكون من قصر الموصوف على الصفة، كقولك: ما زيد إلا أخوك، وإنما محمد كاتب، وقوله تعالى: {ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ} [الحديد: 20]، وقولك: إنما زيد في الدار، وما الجود إلا أن تجود بالنفس، إلا إذا كان الخبر اسمًا جامدًا، والمبتدأ مشتقًّا، فإن القصر يكون من قصر الصفة على الموصوف، كقولك: ما الكاتب إلا زيد، وما القائم إلا عمرو؛ لأنك أردت الحكم على الكاتب بأنه زيد، وعلى القائم بأنه عمرو، فالكاتب مبتدأ خبره زيد، والقائم مبتدأ خبره عمرو، والقصر هنا، قصر صفة على موصوف.**

**وقصر الخبر على المبتدأ، من قصر الصفة على الموصوف، قال الله تعالى: {ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ} [العنكبوت: 18]، وقوله : {ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ} [الرعد: 40], حيث قُصرت مهمة الرسول  على البلاغ، قصر صفة على موصوف، أما قوله تعالى: {ﯪ ﯫ}، فهو قصر للمبتدأ، وهو الحساب على الخبر، و"علينا"، قصر موصوف على صفة، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا.**

**هذا بالنسبة لأركان القصر في الجملة الاسمية، المقصور والمقصور عليه، وتحديد الصفة من الموصوف، وإذا وقع القصر بين أجزاء الجملة الفعلية، فإن قصر الفعل على الفاعل، يكون من قصر الصفة على الموصوف، كقولك: ما كتب إلا محمد، ولا ينال العلا إلا المجد، ومنه قول القائل:**

|  |
| --- |
| **لا يطرد الهم إلا الهم من رجل** |

**وقوله : {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ} [الأنعام: 59]، وقوله كذلك: {ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [الأنعام: 47]، وقوله: {ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [آل عمران: 135]، وقوله: {ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} [فاطر: 28]، وقصر الفعل على المفعول، كقولك: ما ضرب محمد إلا زيدًا، وإنما أكرم زيدًا عمرًا، وكما في الآيات الكريمات: {ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ} [المائدة: 117]، { ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ} [الأنعام: 26]، {ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ} [الأنعام: 116]، وما جاء في الحديث الشريف: ((فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))، يجوز أن يُعد من قبيل قصر الصفة على الموصوف، أي: قصر الفعل الواقع من الفاعل على المفعول، فيكون المعنى عندئذٍ: ما مضروب محمد إلا زيد، وما مكرم زيد إلا عمرو، وما مقولي إلا ما أمرتني به، وما مهلكهم إلا أنفسهم، وما متبعهم إلا الظن، وما مأكول الذئب إلا الغنم القاصية.**

**فتؤول الصفة المقصورة، اسم مفعول؛ لأن الحدث لم يقع من المفعول المقصور عليه، وإنما وقع عليه، ويجوز أن يُعد من قبيل قصر الموصوف على الصفة، أي: قصر الفاعل على الفعل الواقع على المفعول؛ ففي الأمثلة المذكورة، قصر محمد على ضرب زيد، وزيد على إكرام عمرو، وعيسى # على قول ما أمره الله به، إلى آخر هذه الشواهد.**

**وتلاحظ مدى التكلف في الوجه الأول، وأن الوجه الثاني غير ممكن إذا كان طريق القصر "إنما"؛ لأنه يؤدي إلى أن المقصور عليه قد ولي "إنما"، ومعلوم أن المقصور عليه بـ"إنما"، هو المؤخر.**

**والأَولى من هذين الوجهين، أن يُجعل الفعل مقصورًا على تعلقه بالمفعول، تقول في الشواهد المذكورة: قصر ضرب محمد على تعلقه بزيد، وإكرام زيد على تعلقه بعمرو، وقول عيسى على تعلقه بما أمره الله به، وأكل الذئب على تعلقه بالغنم القاصية، وهكذا في بقية الشواهد المذكورة.**

**وقصر الفاعل على الظرف، نحو: ما سافر خالد إلا يوم الخميس، أو على المفعول لأجله، مثل: ما زرتك إلا محبة، ومنه قوله تعالى: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} [الزمر: 3]، أو على المفعول المطلق، نحو: ما قلت إلا قولًا، وما حججت إلا حجتين، وقوله تعالى: {ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ} [الجاثية: 32]، أي: ظنًّا ضعيفًا، أو على التمييز، كقولك: ما طاب محمد إلا نفسًا، أو على الجار والمجرور، نحو: ما عملت إلا في بيتي، وما دافعت إلا عنك، أو على غير ذلك من المتعلقات التي يقع فيها القصر، فإن القصر فيها يكون، إما من قصر الموصوف على الصفة، أو من قصر الصفة على الموصوف، بالاعتبارات الموضحة في قصر الفاعل على مفعوله.**

**وقصر صاحب الحال على الحال، من قصر الموصوف على الصفة، تقول: ما جاء علي إلا راكبًا، وما لقيته إلا ضاحكًا، وما انتصر المسلمون إلا وهم متحدون، وقصر الحال على صاحبها، من قصر الصفة على الموصوف، نحو: ما جاء راكبًا إلا خالد، وما لقيني مرحبًا إلا عمرو، وما انصرف غاضبًا إلا زيد.**

**وأما المفعول المطلق، المؤكد لعامله ولمفعوله معه، فلا يتأتى فيهما القصر، إذ لا يقال: ما ضربت إلا ضربًا، ولا ما سرت إلا والنيل، وأما قوله تعالى: {ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ}، فمعناه: إن نظن إلا ظنًّا ضعيفًا، فهو مصدر مبين للنوع.**

**هذه بعض القواعد التي بمراعاتها، نستطيع أن نحدد موقع المقصور والمقصور عليه، أو ما إذا كان هذا القصر، من قبيل قصر الصفة على الموصوف، أو قصر الموصوف على الصفة.**

**إذًا لو سألنا سؤالًا بعد كل ما ذكرنا، عن الفرق بين القصر الحقيقي الادعائي، والقصر الإضافي؟**

**الجواب: أن القصر الحقيقي الادعائي المنفي فيه عام؛ إذ يشمل كل ما عدا المقصور عليه ادعاءً ومبالغة، فقولك: ما شاعر إلا المتنبي، قصر لصفة الشعر على المتنبي، بحيث لا تتعداه إلى غيره من الشعراء على سبيل المبالغة، وكذا قولك: ما زهير إلا شاعر، قصر لزهير على صفة الشعر، بحيث لا يتعداها إلى غيرها أصلًا.**

**وهذا يعني: أنه قد تفوَّق في هذه الصفة، وبلغ فيها الغاية إلى درجة جعلتك لا تعتدَّ بأيِّ صفة أخرى غيرها، أما القصر الإضافي، فالمنفي فيه محدد، وليس عامًّا، تقول: زهير شاعر لا كاتب، فتقصر زهيرًا على الشعر، وتنفي عنه الكتابة، إفرادًا، أو قلبًا، أو تعيينًا، حسب اعتقاد المخاطب، وتقول: حاتم جواد لا علي، فتقصر صفة الجود على حاتم، وتنفيها عن علي، وعند التحقيق تجد أن القصر الإضافي بأنواعه الثلاثة، إما أن يكون تحقيقيًّا، وإما أن يكون ادعائيًّا؛ لأن قولك: حاتم جواد لا علي، إذا كان مطابقًا للواقع، بمعنى: أن يكون حاتم هو الكريم فعلًا، وعليٌّ هو البخيل؛ كان القصر تحقيقيًّا، وإذا كان عليٌّ كريمًا، ولكنك لم تتعدَّ بكرمه لأمر ما، فجعلت حاتمًا هو الجواد دونه؛ كان القصر ادعائيًّا مبنيًّا على المبالغة، وكذا القول في قصر الموصوف على الصفة، وقولك: زهير شاعر لا كاتب، إن كان فعلًا لا يجيد الكتابة، ولا يعرف طرقها وفنونها؛ كان القصر تحقيقيًّا، وإن كان يعرفها، ولكنك لم تعتد بتلك المعرفة؛ لكونه في الشعر أفصح، وأبلغ؛ كان القصر مبنيًّا على الادعاء والمبالغة. إذن نخلص من هذا، إلى أن القصر الإضافي أيضًا، منه ما هو تحقيقيّ، ومنه ما هو ادعائيّ.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**